استدراكات مختار نويوات ونسيب نشاوي اللّغوية والبلاغيّة والتّاريخيّة في ديوان ابن سنان الخفاجيّ (422–466هـ)

عبد الرّزّاق بوقطوش

قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة باجي مختار – عنابة، bourazek24@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2015/11/12 **تاريخ المراجعة:** 2016/02/02 **تاريخ القبول:** 2016/02/15

ملخص

يتناول هذا المقال بالدّراسة جملة الاستدراكات اللّغويّة والبلاغيّة والتّاريخيّة والمعجميّة والعروضية أيضا لمحققي ديوان ابن سنان الخفاجي مختار نويوات ونسيب نشاوي –رحمه الله–. كان تحقيق هذا الديوان على طريقة شروح ديوان المتنبّي، وربّما شابهت مقدّمته مقدّمة شرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمّام. لعلّ أهمّ استدراكاتهما كانت على ابن الصّيرفيّ صاحب كتاب الأفضليات. وأهمّ ما في هذه الاستدراكات اللّغويّة جانب المعاني المطروقة. وأمّا التّاريخيّة منها فتخصّ التّحقيق في تأريخ القصائد تصحيحًا أو نفيًا أو تثبيتًا. وأمّا اللّغويّة منها فتخصّ المعاني وتوظيف الألفاظ، والإشارة إلى ذلك بالاستهجان أو بالتّصحيح والتّصويب.

الكلمات المفاتيح: ابن سنان الخفاجي، الاستدراكات، ديوان الخفاجي، اللّغويون، البلاغيون، المؤرخون.

Reprises linguistiques, rhétoriques et historiques de Moğtār Nwīwāt dans le recueil poétique d'Ibn Sinān al-Ḫafağī

Resumé

Cet article étudie l'ensemble des reprises linguistiques, rhétoriques et historiques voire lexicographiques et prosodiques effectuées par Moğtār Nwīwāt,et Nacib Nachawi l'examinateurs du recueil Ibn Sinān al-Ḫafağī. L'examination de ce recueil était faite selon la méthode des explications du recueil d'al-Mutanabbi dont l'introduction ressemble potentiellement à celle de l'explication d'al-Marzūqī au sujet du recueil de la poésie d'al-Hamāsa d'Abū Tammām. Les reprises linguistiques les plus importantes sont sans doute celles effectuées selon la méthode d'Ibn al-Sayrafī, l'auteur du livre al-Afḍaliyāt. Elles couvrent les significations usitées à savoir: leur emploi que ce soit à travers la désapprobation ou la correction et la rectification. Quant aux reprises historiques, elles portent sur l'examination de la transcription de la poésie soit d'une manière correcte, négative ou affirmée.

***Mots-clés : Ibn Sinān al-Ḫafağī* , reprises, recueil d'*al-Hafağī* linguistes, rhétoriciens , historiens.**

Linguistic, rhetorical and historical adjustments of Moğtār Nwīwāt in Ibn Sinān al-Ḫafağī's poetry collection

Abstract

The article deals with the study of linguistic, rhetorical, and historical, and even lexicographical and prosodic adjustments made by Moğtār Nwīwāt and Nacib Nachawi, the reviewer of Ibn Sinān al-Ḫafağī's poetry collection. The review of this collection is made according to the explanatory approach of al-Mutannabi's poetry collection whose introduction looks like the Marzūqī's explanatory introduction to al-Hamāsa Abū Tammām's poetry collection. The linguistic adjustments which are the most important are certainly those made according to the approach of Ibn al-Sayrafī, the book's author of al-Afḍaliyāt. They involve the common meanings specially their use whether by their disapproval or by their correction and rectification. With regards to historical adjustments, they concern the review of the registration of poetry whether correctly, negative or asserted.

Key words: Ibn Sinān al-Ḫafağī, adjustments, Hafağī's poetry collection, linguists, rhetoricians, historians.

المؤلف المرسِل: عبد الرّزّاق بوقطوش، bourazek24@gmail.com

تقديم الدّيوان

لم يرم محقّقا ديوان ابن سنان الخفّاجي مختار نويوات **و**المرحوم نسيب نشّاوي (1946–1987م) إلى مجرّد التّحقيق بالاقتصار على الرّوايات الواردة في المخطوطات المعتمدة؛ إنّما أرادا أن تكون محاولتهما شرحا للدّيوان في شكله ومضمونه وعرضًا للأوضاع الاجتماعيّة والأحداث التّاريخيّة والحركات الفكريّة التي عرفها القرن الخامس الهجريّ في مصر والشّام والعراق.

يبدو لمتصفّح الدّيوان اهتمام الباحثين بالجانب التّاريخيّ إلى أبعد الحدود، إذ يظهر الجهد الكبير الذي بذلاه في إجلاء صورة العصر وذلك لضرورته حين يتعلّق الأمر بالقصيدة الشّعرية عندما تكون وثيقة تاريخيّة تؤرّخ لمرحلة من مراحل تاريخ هذه الأمّة.

فعندما وضع المحقّق مختار نويوات سيرة الشّاعر استفاض في التّعريف به وكذا في تقديمه للديوان إلى أكثر من ثمانين صفحة. نال الجانب التّاريخيّ فيها حظّ الأسد. والغرض من ذلك وضع الدّيوان في إطاره التّاريخي وتوضيح الظّروف التي قيلت فيها القصائد وبالأخصّ عندما تكون ذوات خلفيات تاريخية مكثّفة. والهامش الذي وضعه يؤكّد الكلام السّابق، بحيث يتّكئ عليه دارس الدّيوان لا محالة.

حقّق هذا الدّيوان الأستاذان في نسخة صادرة عن مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق عام 2007م. صدرت هذه النّسخة بمناسبة احتفاليّة دمشق عاصمة للثّقافة العربية (1429هـ–2007م). ديوان من مائة وستٍّ وأربعين (146) قصيدة وقطعة شعرية. وضع المرحوم نسيب نشّاوي مقدّمة من ثلاث صفحات وضّح فيها الباعث العلميّ، من قبل مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، على تحقيق الدّيوان ثمّ في أربع صفحات تلتها للتّعريف بالدّيوان والنّسخ المعتمدة في التّحقيق.

طبع الدّيوان ببيروت سنة 1316هـ/1898م بلا تحقيق ولا ضبط، وباعتماد نسخ ناقصة، اعتمد عليها محمود سامي البارودي في مختاراته. هذه المختارات لم يرها المحقّقان مصدرا لتحقيق الدّيوان، لأنّ البارودي كان يتصرف في الأشعار بما يوافق حسّه المرهف وعبقريته الفذّة [1].

أمّا مختار نويوات فقد وضع تعريفا مسهبا في مقال علميّ غاية في الدّقّة العلميّة. تناول فيه حياة الشّاعر؛ وكذا الظّروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عرفها القرن الخامس الهجري. مقال في مائة صفحة تقريبا جعله مقدّمة لقراءة الدّيوان وفهمه. وضّح المقال أهمّ جوانب حياة الشّاعر من المولد إلى الوفاة، وعلاقات الشاعر بأهمّ أمراء الشّام في ذلك العصر وبالأخصّ أمراء مدينة حلب. تناول هذا المقال أيضا طفولة الشّاعر، ونسبه، وتعليمه، والشّيوخ الذين أخذ عنهم ومؤلّفاته، كما وضّح التّكوين العلميّ العالي الذي حصّله الشاعر. بعد هذا انتقل إلى التّعريف بمن لزمهم واتّصل بهم ممّن حكموا الشّام وبخاصة مدينة حلب.

وفي سلاسة ووضوح وضّح الظروف التّاريخية والأحداث التي عاصرها الشّاعر واهتم بها ودوّنها في شعره، وكان فيها طرفًا وعانى من بعضها. كان خلال كلّ هذا يعود إلى الدّيوان متّخذا منه منطلقا لتوضيح القيمة التّاريخية لما ورد فيه من قصائد ومقطوعات، كما تناول في المقال قصّة وفاة الشّاعر ثم مذهبه فأسلوبه...

التّعريف بالشّاعر "ابن سنان الخفّاجي":

هو الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحي بن الحسين بن محمد بن الرّبيع بن سنان بن الرّبيع الخفّاجي[2] الحلبيّ الشّاعر الأديب صاحب كتاب "**سرّ الفصاحة**". ولد سنة 422هـ. وأخذ العلم والأدب على يد

علماء عصره. ولد بحلب لأبٍ خفَاجيٍّ وأمٍّ تميميّة. لم يجزم المحقّقان بصحّة سنة ولادته[3]. وإنّما قرّبا ذلك بحجج منطقيّة أهمّها ما صرّح به في شعره.

اتّصل بفيلسوف المعرّة، أبي العلاء المعري الشاعر المعروف، كغيره من شباب عصره فتتلمذ له وأفاد منه الكثير. ذكر ذلك في ثنايا كتابه "سرّ الفصاحة". وهو كتاب فرغ من تأليفه سنة 454هـ، ويدعى أيضا "سرّ الصّناعة". ويظهر من الكتاب أنّ صاحبه عالم بالنّحو واللّغة والفنون الأدبيّة وعلم الكلام والأصول والفقه والعروض والقراءات، متشبّع بثقافة عصره. يأخذ شواهده من قدماء اللّغويين والنّحاة أمثال أبي عبيدة (ت208هـ) وثعلب (ت291هـ) وسيبويه (ت180هـ) والخليل (ت174هـ) والمبرّد (ت286هـ) والأخفش (ت177هـ) وابن دريد (ت321هـ) والسّيرافي (ت368هـ) وابن السرّاج (ت720هـ) وابن جنيّ (ت395هـ). ويروي أقوال المتكلّمين كالجبّائي (ت303هـ) وأبي هاشم (ت321هـ) والجاحظ (ت255هـ) والشّريف المرتضى (ت436هـ) والقاضي عبد الجبّار (ت324هـ).

تأثر ابن سنان في كتابه "سرّ الفصاحة" بالجاحظ في طريقة العرض والاحتجاج، ومدين لقدامة بن جعفر (ت337هـ) بأخذ الكثير من كتابه:"نقد الشعر" وللآمدي (ت370هـ) والرمّاني (ت384هـ) والقاضي الجرجاني(ت392هـ). توفّي ابن سنان الخفّاجي مَسمُومًا وهو وال على قلعة من قلاع مدينة حلب هي قلعة "**عزاز**". ولاّه عليها أمير حلب محمود بن نصر بن صالح المرداسي[4]. وهو من أقوى أمراء مدينة حلب المرداسيين. ويورد محقّقا الدّيوان القصّة التي بها تمّ سمّ الشّاعر.

لم يكن تاريخ ولاية ابن سنان لهذه القلعة ظاهرا لعدم توفر الأدلّة العلميّة، وعدم توفر المراجع التي تؤكّدها. لكنّ المحقّقين تتبّعا الدّيوان ورجّحا أن تكون السّنة هي 461هـ من قصيدة يبيّن الشاعر فيها أنّه راضٍ عن الأمير كلَّ الرّضا، شاكرًا له منّة عظيمة، لعلّها ولايته لعزاز. وقصَّة سّم ابن سنان من قبل محمود بن نصر المرداسي أمير حلب[5] طويلة، ملخّصها أنّ الأمير تغيَّرت أخلاقه بعد رحيل السّلطان "ألب أرسلان" السلجوقي عن مدينة حلب، ورغب في جمع المال وغلب عليه حبّ الدّنيا وتنكّر لأصحابه. فقتل الكثير من وزرائه، منهم أبو بشر النّصرانيّ. وهو الوزير الذي ساعده وأوصله إلى مدينة حلب وكاد يقتل أخاه من الرّضاعة سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ. وقتل حسين بن كامل بن الدّوح (والي حصن أسفونا).

دعا محمود بن نصر ابنَ سنان إلى مدينة حلب عدّة مرات فتعلّل عليه ولم يدخل حلب لأنّ ابن النّحاس* (وزير محمود بن نصر المرداسي الجديد) كاتبه وحذّره... لكنّ الأمير هدَّد وزيره (صديق الشّاعر) بالقتل إن لم ينفّذ ما أمره؛ فبعثه إليه في ثلاثين فارسًا وبعث معه بطعام (خُشْكُنانتين)[6] وتظاهر أمامه بامتناعه عن أن يأكل عنده إلى أن يبلغ الظّهر، وأخرج له طعامه فأكل وأطعم صديقه ابن سنان من الجزء المسموم وعاد إلى مدينة حلب. ومن الغد أخبر الأمير بموت الخفّاجي. كان ذلك عام 466هـ. وحمل إلى حلب.

ألّف ابن سنان الخفاجي في فترة الأربعينيات وجزء من الخمسينيّات كتبًا كثيرة، ولم يكن مهتمّا إلا بذلك. ومن أهمّ هذه الكتب:

- كتاب الصّرفة.
- العدل في الإمامة.
- رسالة في "الحكم بين النّثر والنّظم".

– عبارة المتكلّمين في أصول الدّين.
– حكم منثورة.
– "العروض"
– "رؤية الهلال".

وأكثر هذه الكتب مفقود ما عدا "سرّ الفصاحة" الذي اشتهر في الشرق والغرب وبه عرف في العصور التّالية عالما لغويًا لا شاعرًا محبرًا.

أ- استدراكات المحقّقين في الدّيوان:

من جملة ما وقفت عليه من ملاحظات أو نتائج توصّلت إليها خلال دراسة هذا الدّيوان التّنويه بالعمل الكبير الذي بذله المحقّقان فيه. ولعلّ أهمّ ما يمكن التّنويه به هذه الاستدراكات التي نجدها في التّحقيق. أحصيت أهمّها في الدّيوان وهي:

1- استدركا على ابن الصّيرفيّ، صاحب كتاب "الأفضليات"، في القصيدة الثّانية من الدّيوان (ص115) لمّا عدّ ابن سنان قد أخذ تراكيب بيته وتشبيهاته من قول ابن نباتة السّعديّ المتوفّى سنة 405هـ..

وبيت ابن سنان الخفاجي(من الكامل):[7]

هِيَ فِي الهَوَى وَعْدُ الوِصَالِ وفِي الكَرَى طَيْفُ الخَيَالِ وفِي الوَدَاعِ عِنَاقُ.

وتعبير ابن نباتة: إنّها في السحاب وَبِلٌ وفي الريح نسيم ونشوة في الشراب.

يعلّق المحقّقان على هذا: "ونرى أنّ في البيت تقسيماً، وأنّ هذا اللّون من البديع قديم لا يحتاج فيه ابن سنان إلى الأخذ من ابن نباتة".

* واستدركا على ابن الصَّيرفيّ كذلك عندما قال إنّ ابن سنان في القصيدة رقم 16 في البيت الثامن عشر منها (ص 220) رآه متأثّرا بمهيار الديلمي(ت428هـ). عدّ المحقّقان الأمر طبيعيًّا وأنّ الشعر العربي والأجنبي يزخر بهذا المعنى ولا نرى ابن سنان متأثّرا فيه بغيره. والبيت (من الكامل):[8]

وَأَلُومُ طُولَ اللَّيْلِ أَرْقُبُ فَجْرَهُ
أَوَ مَا بَيَاضُ الصُّبْحِ عِنْدَكِ أَسْفَعُ.

يرى ابن الصّيرفيّ أنّ ابن سنان متأثّر بمهيار الدّيلمي في رثائه الشّريف الرّضيّ (ت406هـ):

وبكاكَ يومك إذْ جرت أخباره
تَرَحًا وسُمِّي بِالعَبُوسِ الأَنْكَدِ
صبغت وفاتُك فيه أبيضَ فجره
يَاللَّعُيُونِ من الصَّباح الأسودِ![9]

*واستدركا أيضًا على ابن الصَّيرفي في القصيدة رقم 47 في الديوان (ص 347) عندما ذكر أنّ الشّاعر ابن مكنسة (ت510هـ) لمّا سمع إذاعة سرّ الدّموع التي يتحدّث عنها ابن سنان في البيت الأوّل من هذه القصيدة قال أبياته مستلهما المعنى من ابن سنان وكأنّ هذا المعنى لم يكن مألوفا من قبلُ. يقول ابن سنان(من الطويل):

أتانِي وَعَرْضُ الرَّمْلِ بَيْنِي وبَيْنَهُ

حَدِيثٌ لأَسْرَارِ الدُّمُوعِ مُذِيعُ.

فلمَّا سمع الشَّاعر ابن مكنسة هذا البيت – على حدّ قول ابن الصَّيرفي في أفضلياته– قال (من المتقارب):

دَعُوهَا تَفِضْ بعد دمعٍ نجيعَا

نـهاهَا النُّهى فأبَـتْ أن تُطِيعَا

وسِرٌّ تَبَـدَّدَ فِـي عَبْـرَةٍ

وَكُنْـت جَمَعْت عليـه الضُّلُوعَا.

قال المحققان معلّقين: "والحقيقة أنّ هذا المعنى قديم لم يسبق إليه ابن سنان".

2- واستدركا على المؤرّخين في تاريخ نظم القصيدة رقم 47 في الدّيوان. وصحّحا القضية بقوله: "ولا نرى أنّ سنة 463هـ صحيحة وهي تاريخ إيفاد مؤتمن الدّولة أبي طاهر مسلّم بن عليّ بن تغلب من قبل معزّ الدّولة ثمال بن صالح إلى مصر إلى المستنصر، لأنّ ثمالا توفي قبل ذلك بكثير (454هـ)، ولأنّ ابن سنان أُرْسِلَ إلى القسطنطينية سنة452هـ. والظّاهر أنّ وفاة المسلّم بن عليّ كانت سنة 453هـ.، وهو تاريخ نظم القصيدة أو 452هـ[10]..

3- واستدرك المحقّقان على محقّق كتاب "وفيات الأعيان" في تأريخه للقصيدة رقم 80 من الدّيوان وهي مرثية في مخلّص الدّولة أبي المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ.

قال المحقّق معلّقا ومصحّحا سنة تأريخ القصيدة على هذا النّحو: وقوله: "توفي في ..خمسين وأربعمائة" تصحّفت هذه العبارة على محقّق وفيات الأعيان، إذ ورد خبر القصيدة في وفيات الأعيان 270/5: وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة اهـ. والصّواب سنة خمسين وأربعمائة[11].

4- استدركا استدراكا لغويّا على الشّاعر أو على النّاسخ، ناسخ الدّيوان في البيت رقم 17 من القصيدة رقم 85 من الدّيوان. والبيت(من الكامل):

وَلَقَدْ أَلَمَّ بِهِ فَأَظْهَرَ فَضْلَهُ والنَّارُ لا تُشْتَبُّ حَتَّى تُحْتَضَى.[12]

أراد الشاعر بقوله "لاتشتبّ" لا تضطرم ولاتهيج. يقول المحقّق: "وهي صيغة غير موجودة في المعجمات". إنّما يقال بهذا المعنى: شبَّتِ النَّار شبوبًا وشبًّا. وحتى تحتضى: حتى تحتضأ، والتخفيف لغة، من حضأ النار: أوقدها؛ حرّكها لتشتعل؛ ومنه حضأ الفتنة والحرب (مجاز) فحضأت: اتّقدت (يُهمز ولايُهمز).

5- واستدركا على اللّغويين في شرحهما للقصيدة رقم 130 من الدّيوان (ص 627) في البيت رقم 25 منها (من الكامل):

في حَيْث يَرْتَابُ الحُسَامُ بِحَدِّه

وَيَخُونُ صَدْرَ السَّمْهَرِيِّ اللَّهْذَمُ.

البيت في سياق مدح الأمير محمود بن نصر المرداسي أمير مدينة حلب. وقصد بالحسام هذا الأمير. والقصيدة تحمل الكثير من الهجاء الصريح للعبّاسيين.

في حيثُ: هذا التّركيب عربي لكنّه جدّ نادر، لأنّ المعروف في "حيث" أن تدخل عليها من، كقوله تعالى"**ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس**"(البقرة: 199/2).

وقد دخلت عليها لدى في قول زهير بن أبي سلمى في معلقته(من الطويل):

فشدَّ ولم يُفْزِعْ بُيُوتًا كثيرةً

لدى حيثُ ألقت رحلها أُمُّ قَشْعَمِ.[13]

والاستدراك الذي نعنيه في هذا البيت يخصّ شرح اللّغويين للفظة "السمهريّ".

فالسّمهريّ: العود الصّلب، حسب المحقّقين. ويعلّقان: ويزعم معظم اللّغويين أنّها نسبة إلى (سمهر)، رجل كان يثقّف الرّماح مع زوجته رُدَيْنَة، فنسب إليهما. ولا يخفى ما في هذا من خطل. ويضيفان: والظّاهر أنّها نسبة إلى مكان. واللّهذم من الأسنّة: القاطع[14].

وإضافة إلى ما قلناه حول استدراكات المحققين، هناك تمحيص كبير للمعاني الرّاقية التي طرقها الخفاجي وربما تفرّد بها. وخلال مناقشتها من قبل المحققين في هوامش الديوان نجد الكثير من الردود على البلاغيين القدامى، ومن ثمة هناك الكثير من الأحكام النّقدية التي تصبّ في صالح المحققين ممّا رأيناه يصلح للتنويه به والتذكير بقيمته.

ومن أمثلة ذلك:

ب- استدراكات بلاغية محضة:

1- الحكم النّقدي الذي أطلقه المحققان في حق البيت رقم 8 من القصيدة رقم 46 من الديوان (ص344): "بيت من أجمل ما قيل في الانتساب إلى الأهل والعشيرة"[15].

ومَا أنكرتْ بيضَ السُّيوف صدورُهَا

ولا جهلتْ سمْرَ الرّماح متونُهَا

أورد الخفاجي البيت في سياق الفخر بقومه بني عامر الذين ذكرهم في البيت السابق وهم بطن من بطون خفاجة الأحد عشر[16].

يفتخر الشّاعر ببأس قومه، وأنّهم لا يسلمون ذويهم، بل يأخذون حقّهم بالسّيوف والرّماح.

2- يقول المحققان: "للخفاجي أبيات من أجمل ما قيل في وصف الطبيعة".

هذه الأبيات جعلها صاحبها مطلعا للقصيدة رقم 120 في الديوان في مدح الأمير محمود بن نصر بن صالح المرداسي أمير حلب. تدخل القصيدة في باب شعر التكسّب[17]:

إذَا حدَت الرّيحُ عيسَ الحيَا

وهُتّك بالبرْق سترُ الدُّجَى

وظلَّ يفوفُ حُوَّ الرّيـــاض

ويَصْقُلُهَا بنسيم الصّـــــبَا

فنطَّق منـها خُصُور الوهاد

وتوَّجَ منـها رؤُوسَ الـــــرُّبَا

وقَبَّل فيـها ثغورَ الأقَـــاحِ

مُـدَاعبةً لخـدود المَـــــهَا

فحلَّى الغويرَ بأوضاحـــه

ونجَّدَهُ بـرقه المُنْتَـضَـى

وزارَ عُذَيبـةَ زَوْرَ الخَـيَـا

ل يَعْثُرُ بين فُرُوج الكَرَى

فَرَاحَ على تربهَا بَـاكيًـا

بجَفْن الرّياض ودمْع النّدَى

وأصبح رائدُها بعـدَه

يـقبلُ أجْرَاعَـــهَا والثَّـــرَى

آثر ابن سنان الخفاجي هذا المطلع، الذي يبيّن فيه أثر المطر في إنبات الربيع والزهر وتغيير الطبيعة، على المطلع الغزلي ليحسن الانتقال إلى مدح الأمير محمود، ولحمل السامع على التوفيق أو لإيجاد الصلة بين الطبيعة السّخية النضرة المعطاء وشخصية الممدوح الكريم، وقد أحسن الشاعر الخلوص من وصف الطبيعة إلى باب المديح.

3- يقول المحققان في أبيات أخرى: "للشاعر أبيات من أجمل ما قيل في الشعر العربي، وهي من أجمل شعره رقة وعذوبة وتجانس الكلام وانسجام الوزن، جعلها مطلعا للقصيدة رقم124 من الديوان.

القصيدة في مدح الأمير محمود بن نصر المرداسي:

مـا علـى أحسنكم لـو أحسنَا؟

إنّما نسأل شيـئًا هـــــيّنَا

قدْ شـجانَا اليأسُ من بـعدكم

فالحـقونَا بأحاديث المُـــنَى

وعدوا بالوصل من طيـــفكم

مقلـةً تعرف فيكم وســـــنَا

وحديـــث مـــن مـواعيـــدكم

تحسدُ العينُ عليـــه الأذنَا

مـا رحلتُ العيسَ عن أرضِـكم

فرأت عيناي شيئًا حســـنَا

يا بنـي عذرةَ إن خـــفنـــاكُمُ

فدمُ الهرماسِ منـكم عنـــدنَا

أخذَتْ سمْـــرُكُمُ الـثَّأرَ بـــه

لستُ أعني لكُـم سمْر القنـَا

وسـللتم فيـــــه ألحاظَـــكُمُ

فعـرفْنَا بالسُّيوفِ اليـــمَنَا

هـل لـــنا نحوَكُمُ من عودةٍ؟

ومِـنَ التَّعليلِ قولِي:هَلْ لَنَـا؟

كـم أسلـي النفس عـن حبكم

وهـي لا تـزداد إلا حـــــزنا

ولعمـري لـو وجدْنَا راحـةً
فـي هَـواكُمْ لطلبْنَا شَـــــجَنَا
يا نديمَـيَّ علـى ذكـرهِمُ
وحديـثُ الشَّوقِ قـد أسْـــكَرَنَا
بيْنَ بُصْـرَى وضُمَيْـرٍ عَرَبٌ
يأمــنُ الخائـفُ فيـهمْ مَا جَــنَى.

يباشر الشاعر في البيت الموالي لهذه الأبيات المدح في ربط جيّد، غاية في الرّوعة، وهي تقنية سمّاها البلاغيون حسن التخلص أو الخروج، أي الانتقال من غرض إلى غرض، وبالأخصّ الانتقال من المطالع الغزلية أو الوقوف على الأطلال إلى غرض القصيدة المقصود.

استهل القصيدة بعتاب المحبوبة، قائلا وماذا عليها لو أسدت إليّ إحسانها وهو هيّن. ثم تابع الغزل ووصف الطيْفَ الذي يطلق على الحبيب الغائب أو البعيد. و"عذرة" في هذه الأبيات هي قبيلة في اليمن معروفٌ أهلها بشدة العشق والعفة فيه...و"بصرى" مدينة جنوبي بلاد الشام من أعمال دمشق. و"ضُمَيْرٌ" بلدة بالشام شمالي دمشق تبعد نحو 30 كم.

4- "للشاعر في المدح أبيات من أجمل ما قيل في المدح وزنا ومعنى وموسيقى وسهولة لفظ". هي القصيدة رقم 127 في الديوان، قصيدة مجاملة تنمّ عن حبّ كبير للأمير الممدوح صاحب مدينة حلب الذي شكره على جميل فعله وارتوائه من عطائه...[18]

يقول الخفاجي:

إذا عزت صفاتُك أن تـــــرَامَا قضينَـــا في الحديث بها ذمَـامَا
وما قصرت يدٌ دون الثُّـــريَّا فخـافت عند عارفهَا مَـــلامَـــا
لكَ النَّسبُ الذي من سارَ فيه فـما يخشى الضَّـلالَ ولا الظّلامَـا
إذا طلعت بدورُ بنـــي حُمَيد فحَـــقٌّ للكـــواكب أن تُـــضَامَا
أمَا وقُبُورهم – فلقد أَجَنَّـــت عظَامًا في ضرائـــحهَا عـظَامَا–
لقد أبْقَيْتَ مَجْدَهُمُ ومـــــاتُوا فكانُوا لا حيـاةَ ولا حـــــمَـامَـا
ورُبَّ مُنَازِع لك في المَعَالـــي سَهرْتَ على الطّلاب لَهَا ونَـامَـا
تحَدَّثَ عن لقائكَ بالأمَـــانـي فـقال العارفون بـــــه: سَـلامَا
ومجـتازٍ بأرضـــــك حذّرتـهُ سيـوفُك أن يريد بـها مُـــقامَـــا
أدلَّ بجمعـــــه وكفاك جـد تفل سعـــوده الجيشَ اللّهامَـا
ضربناه بذكرك وهـــو لـفظ فكان القلـــب واليد والحـسامَا
إذا ضنَّ السَّحاب على نـداه فقد نالت يدَ الصَّادي الغـــمَامَ
ولا غبـت مكارمك القـــوافي وإن كانـت زيـارتُـــها لمَـــــامَا
وكيف يضيع جودك في كريم أعد لشكـــــره هذا الكـــلامَا
قصـائد إن ترنَّـح سامعـــوها فإنّي قد أبحت بـــها المُـــدَامَا

5- "للشاعر في القصيدة رقم 82 من الديوان أبيات من أجمل ما قيل في الحثّ على طلب المجد". مدح في هذه القصيدة الأمير سعد الدولة أبي الحسن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ أمير شيزر قلعة شمالي حماة، كما مدحه جماعة من الشعراء،لأنّه كان شجاعا قويّ النفس كريما.

يقول الخفاجي:[19]

دونَ نيل الضَّيم نفسٌ حرَّةٌ والمطايَا والفيافي والسُّـــرَى
لست من يقبعُ في حبوته يتمنى في الأعادي القـــدرَا
يجدُ العزَّ مهادًا آمـــــنًا طلبُ العـــزّ يثـــيرُ الخـــطرَا
وهْوَ مغلوبٌ على صارمه يتبعُ الدَّهْـــرَ إذا مَـــا أمَـــرَا
أيُّها الرَّاقد عن نُهْـــزَته مـــا يَرُوعُ السَّيفُ حتَّـى يُشْهَرَا
إنَّمَا قومُك إنْ رمْتَـــــهُمُ فقـــعةٌ تسكـنُ وعْثًا قرْقَـــــرَا
شُنَّهَا فـهْيَ على عـلاَّتهَا تلبسُ الجَوَّ عَـــــجَاجًا أَكْـــدَرَا
عَلَّهَا تسفرُ عن حَـادثَـة يَسْبِـقُ الأَبْيَضُ فيـــهَا الأسمْرَا
فالهُوَيْنَا مَرْكبٌ ما خلْتُـهُ يشركُ البَادُونَ فيه الحُـضَّـرَا
ثَلَّـةٌ هـوَّمّ راعيـهّا، فـــما يعتـقي سرحانها أن يعقـــرَا؟
قدْ رجونَاكَ فشَمّر جاهدًا إنما يدركُـهَا منْ شمَّـــــــرَا
وأَبيُّ المجْد قد فازَ بـه سالكٌ فيــه السَّبيلَ الأوعـــــرَا.

6- "له في القصيدة رقم 118 في الديوان أبيات من أندر ما قيل في الشعر العربي لما فيها من فلسفة الصراع بين العقل والقلب داخل الإنسان". والقصيدة في عتاب النّفس ونهيها عن التّمادي في النزوع إلى العلاء والمجد.

يخاطب الشاعر فيها نفسه طالبا منها أن تقلل اللّوم، فلقد ناء كاهله بثقل مطامحها.

يفضل فيها العقل على إيحاءات النفس وهواجسها؛ فإذا وافقت هواها وأصلحت أمرها فسيكون ذلك بمخالفة ما يمليه العقل الرشيد، ويشير الشاعر خلال ذلك إلى أنه يستطيع إدراك المجد إلا أنّ ذلك لا ينبغي أن يكون على حساب عزّته، فالعيش الكريم يمكن أن يُدرك بالميسور القليل فيقول(من مجزوء الكامل):

أيُّـــها النفسُ أقـــلّـــي فلقد أكثرت ثقلـــي
إنَّمـــا أصلح مـن أمـــ ـرك مـا يفسدُ عقلـي
لستُ أرضَـــى لـــك بالعزّ الذي يـوجبُ ذلّـــي
وهـــوى الأكثـــرَ، والعيـــ ـشُ يزجَّـى بالأقـــلّ
قد تعلقـت مـــن الدنـــ ـيا بأمر مضمحـــلّ
وتمسَّكْـــتُ مـــن النـــا س بعقد مثل حـــلّ
فـــإذا حاولـــت تحـــقيـ ـقا فجـهلٌ فوق جهلِ
يا حـلال التُّرب مـا أبـــ ـلاكُمُ إلاَّ ويبـــلـــي
ونحـن نتلـوكم وما السَّا بـق إلا كالمصـلّـــي
قد بذلـــنا لكـــم مـــن دمـعنا جُـهْدَ المُقِـــلّ

مَنْ لساري اللّيلة الليـ ـلاء في الصُّبح ومنْ لِي؟

جـ- استدراكات تاريخية:

من استدراكات المحققيْن في الديوان التي تكتسي أهمية بالغة في هذا الجانب ووجب التنويه بها، تلك المتعلقة بالجانب التّاريخي. يصحّح المحققان تارة المعلومة التاريخية الواردة في كتب التاريخ، وتارة أخرة يضيئان إيضاءات غاية في الأهمية، وتارة أخرى يشيران إلى حوادث تاريخية أهملتها كتب التاريخ أو ربما سكتت عنها. لذلك كان عمل التحقيق مهما للغاية؛ أدرجنا ما تعلق منه في هذا الجانب في باب استدراكات المحققين على المؤرخين.

*** أبياتٌ وقصائـد عُدّت وثائـق تاريخيّة جدّ مهمّـة:**

يعدّ البيت وثيقة تاريخيّة إذا أرّخ لحادثة تاريخيّة وأكّدها الشّاعر وتغنّى بها بصفة مباشرة لما هو موجود في كتب التّاريخ أو غير مباشر. وكم من حوادث بالغة الأهميّة في حياة الأمم أغفلتها كتب التّاريخ.كما يعدّ البيت أو القصيدة وثيقة تاريخيّة في غاية الأهمّيّة إذا صحّحت خطأ في كتب التّاريخ، أو نبّهت إلى خطأ المؤرّخين أو صحّحت مسارات الأحداث فغيّرت قناعات الناس حولها أو حول ما تعلق بها ..

وفي الديوان الكثير من الوثائق التّاريخيّة التي وقف عندها التّحقيق مليّا، فأشار إليها وبيّن أهمّيتها عند دارس الدّيوان أو عند المؤرّخ أو دارس التّاريخ وغيره.

عدّت الكثير من الأبيات في الديوان وكذا بعض القصائد من أهمّ الوثائق التّاريخيّة سواء في علاقتها بحياة الشّاعر نفسه أو في علاقتها بممدوحيه، أو في علاقة ممدوحيه بالدول والإمارات المجاورة.

يقول المحققان في مقدمتهما للديوان: "صوّر ابن سنان الأحداث التي جرت بين محمود(محمود بن نصر المرداسي) وبين الفاطميين والعباسيين والرّوم والأتراك والإمارات العربية المجاورة كالعقيليين، كما صوّر الفتن الدّاخلية والوقائع الحربيّة بين المرداسيين أنفسهم، وبخاصة بين محمود وبين عمّه عطيّة. لذلك يكثر في قصائده من ذكر أعداء الممدوح مشيدا بانتصاراته عليهم أو متنبئا له بالانتصار" [(20)].

وقد يشكّل البيت أو القصيدة مشكلة حقيقية لدى الباحثين عندما تتضارب المصادر في أمر أثبته الشّاعر في شعره على سبيل سرده للأخبار كما هو مبيّن في القصيدة الثّانية في الديوان مثلا.

* الوثيقة التّاريخيّة الأولى في الدّيوان تتعلّق بالقصيدة الثانية فيه. يمدح فيها ابن سنان أبا عليّ الحسن بن عليّ بن ملهم بن دينار العقيليّ الملقّب بمكين الدّولة الذي كان أميرا على مدينة حلب سنة 450هـ ثم كان أميرا على مدينة طبريّة ومدينة عكّا سنة 454هـ من قبل الخليفة المستنصر الفاطميّ، بعدما غادر مدينة حلب سنة 453هـ. وفي عام 455هـ عقد الحلف بين بني سليم وبني فزارة القيسيين، فمدحه ابن سنان وأشاد فيها بالدّور الذي قام به لصالح الفاطميين في محاربتهم للمعزّ بن باديس الصنهاجي بإفريقيا وللرّوم باللاذقية. وفيها يهجو المعزّ بن باديس تأكيدا لمدح ابن ملهم، ويعدّ تخريب صبرة بجانب القيروان من مفاخره. يقول ابن سنان بعد مقدّمته الغزليّة، وبعد خمسة عشر بيتا(من الطويل):

ومُؤَلِّـفُ الأَهْـوَاءِ بَعْـدَ شَتَاتِـهَا طَـوْعًا، فَـمَا بَيْنَ القُلُـوبِ شِقَـاقُ

فالبيت فعلا وثيقة تاريخيّة، إذ يذكر المؤرّخون أنّ بين المعزّ بن باديس الصنهاجي واليازوري وزير المستنصر الفاطمي عداوة. فلمّا خطب للخليفة العباسي وأُرسلت إليه الهدايا على طريق الرّوم، وأخبر الروم بذلك المصريين، أشار اليازوري على الخليفة الفاطمي بإرسال بعض بطون بني هلال "لتأديب صاحب إفريقية" كما يقول مؤرّخو

الدّولة الفاطمية. وعندما بلغ بنو زغبة وبنو رياح طرابلس الغرب، وكانا أهمّ فروع الهلاليين، دبّ الشّقاق بينهما ونشبت معارك. فندب اليازوري ابن ملهم للصّلح بينهما وحثّهما على متابعة المسير إلى القيروان. وكان قد عُرف بسداد الرّأي وحصافة الذّهن وحسن التدبير في السّلم والحرب، فنجح في مهمّته كلّ النجاح، إذ مازال بهما حتى اصطلحا. فثبّت ابن سنان الحادثة وأشاد بدور ابن ملهم فيها، كما يظهره البيت السّابق. واستباح الهلاليون القيروان وعاثوا فيه فسادا، وذلك ما يشير إليه ابن سنان في باقي هذه القصيدة. ورثى القيروان كثير من شعراء إفريقية وبخاصّة ابن شرف القيرواني (ت460هـ) [21].

يقول ابن سنان في القصيدة:

ظـنَّ ابـنُ بَـاديـسَ بِعَـادَكَ جنـة فأبـت نـواحل كالقسـي دقـاق
أَلْهَـاهُ عَنْ نَظَـرِ العَـوَاقِبِ سَامِـرٌ غَـرِدٌ وَكَـأْسٌ بِالعُقَارِ دِهَـاقُ
فَأَقَـامَ يَنْتَجِـعُ الظُّنُـونَ سَفَاهَـةً وَمِـنَ الظُّنُـونِ خَدِيعَةٌ وَنِفَـاقُ
حَتَّـى إِذَا طَالَعْـتَ ثَغْـرَةَ كَيْـدِه وَهَفَـا عَلَيْـهِ لِـوَاؤُكَ الخَفَّـاقُ
ونَـزَتْ جِـيَادُكَ لِلطِّـرَادِ كَأَنَّـهَا سِـرْبُ المَهَـا وَرِمَاحَـكَ الأَرْوَاقُ
ورَمَى بِـ(صَبْرَةَ) فِي مَخَالِبِ ضَيْغَمٍ طَـيَّانُ تُفْتَـحُ بِاسْمِـهِ الأَغْـلاقُ
دَامِـي الأَسِنَّـةِ مَـا تَقَرُّ جِـيَادُهُ حَتَّـى تُضِـيءَ بِعَدْلِـهِ الآفَـاقُ
(بِالقَيْرَوَانِ) لَـهَا غَمَامَةُ عِثْيَـرٍ وَطْفَـاءُ وَابِلُـهَا الدَّمُ المُهْـرَاقُ

اضطرّ المعزّ بعد هذه الأهوال إلى الخروج من القيروان سنة 449هـ[22]. أما الإشكال الذي تطرحه القصيدة بوصفها وثيقة تاريخية فهو أنّ الشاعر ينسب إلى الممدوح بطريقة مباشرة تخريب صبرة وقهر جيوش المعزّ بالقيروان. يدلّ على ذلك الإضافة (بعادك، لواؤك، جيادك) والإسناد(طالعت)، والسياق (في مخالب ضيغم). يقول المحققان في هذا: "ولم نجد فيما رجعنا إليه من كتب التاريخ والتراجم من ذكر أنّ ابن ملهم شارك بالفعل في هذه المعارك."

فإمّا أن تكون هذه الإضافات مجازيّة تبيّن أنّ الممدوح قام بدور ما في الحرب، فنسب إليه ما هو من لازمها كما يقول البلاغيون. وقد يكون شارك قليلا أو كثيرا في معارك القيروان والمنصورية (صبرة)، ولم يذكر المؤرخون ذلك أو ذكروه ولم يهتد إليه البحث...

وفي القصيدة أيضا إشكال آخر يتمثّل في الأحداث التي أشار إليها ابن سنان وهي تلك التي جرت بين الجيوش العربية بقيادة ابن ملهم وبين الرّوم فيما بين سنتيْ 447 و450هـ..

ذكرها المؤرّخون بالتّفصيل أحيانا وأحيانا أخرى موجزة في كتب التّاريخ.[23]

* تكمن قيمة النّصّ التّاريخيّة في كونه يصحّح ما ورد عند المقريزي في اتّعاظ الحنفاء أو على الأقل يرفع لبسا. فظاهر نصّ المقريزي يشعر القارئ أنّ الذي حارب الرّوم باللاذقية هو مكين الدّولة الحسن بن عليّ بن ملهم **الكتاميّ**، والذي أصلح بين الهلاليين بطرابلس الغرب هو الحسن بن علي بن ملهم **العقيليّ**[24].

وابن سنان يؤكّد بهذه القصيدة ما أورده ابن ميسّر في كتابه "المنتقى من أخبار مصر" وياقوت الحمويّ في معجم البلدان من أنّ ابن ملهم العقيليّ هو الذي أُوفِدَ إلى ليبيا، وهو الذي حارب الرّوم باللاذقية وأجلاهم عن حصن قسطون. يقول الخفاجيّ في هذا في باقي القصيدة:

وَعَلَى (خَلِيجِ الرُّومِ) بَـرْقُ صَفَائِـــحٍ تَفْرِي ذُيُـولَ النَّقْـعِ وَهْيَ صِفَاقُ
فَتَنَـازَعَ الكُـفَّارُ فَضْلَـةَ كَأْســـــــهَا مِنْ بَعْدِ مَـا ثَمِلَـتْ بِهِ الفُسَّاقُ
صَبَّحْتَـهُمْ (بِاللاذِقِيَّــةِ) فَالْتَـــــــقَى بَحْـرَانِ: مَـاءٌ رَاكِـدٌ، وَعِتَـــاقُ
غَادَرْتَـــهَا دِمَـنًا عَلَـــــــى أَطْلالِـهَا يَبْكِـي الخَلِيـطُ وَتُذْكِـرُ الأَشْوَاقُ

ذكر ياقوت أنّ ابن ملهم حاصر حصن قسطون في "الرّوج"* بالقرب من "أفامية"** سنة 448هـ، ففتحه وخرّب أسواره وغنم منه.

وهناك قصيدة أخرى تعدّ أيضا وثيقة تاريخيّة جدّ مهمّة، تتعلّق بهذا الممدوح عندما عقد الحلف بين القيسيين. هذه الوثيقة تؤكّد ما رواه المؤرّخون عن واقع بعض القبائل العربيّة في الأردن في منتصف القرن الخامس الهجريّ، فكانت سياسة الممدوح مع هؤلاء سياسة الخير والحكمة اللّذين اشتهر بهما قومه اليمنيون، وصادقهم وحالفهم فحمدوا هذه المودّة وهذه المحالفة.يقول(من الطويل):[25]

جَمَعْتَ عَلَى المَعْرُوفِ شَمْلَ (فُزَارَةٍ) وَثَقَّفْتَ بِالإِحْسَـــانِ خَيْلَـهُمُ الحُنْـفَا
وَقُـدْتَ إِلَيْـهِمْ خُلَّـــــــةً يَمَنِـــيَّةً فَقَدْ حَمِـــدُوا تِلْكَ المَـوَدَّةَ وَالحِلْـفَـــا
وَلَوْ كُنْتَ فِي (يَـوْمِ الهَبَاءَةِ) شَاهِـدَا لَطَالَ عَلَى نَفْسِ(الجُذَيْمِيِّ) أَنْ يُشْفَـى
وَقَدْ أَسْنَدَتْ (كَلْبٌ) إِلَيْكَ أُمُـــــورَهَا فَمَـا فَقَدَتْ نَصْـرًا وَلا عَدِمَتْ عُرْفَـــا
وَكَـمْ لَكَ فِيـــهِمْ مِنْ يَـدٍ مُلْهَمِيَّـــةٍ إِذَا انْتَجَعَتْ أَرْخَتْ سَحَائِبُـهَا الوُطْفَـا

وفي القصيدة أيضا إشارة إلى الفترة التي نعم فيها الحلبيون بولاية ابن ملهم. وفيها غمز للمرداسيين:

وَمَا حَلَبُ الـــــوَرْهَاءُ إلا خَـــرِيدَةٌ عَطَفْـتَ عَلَيْـهَا ثُمَّ طَلَّقْتَـــــهَا أَلْـفَا
وَإِنْ ظَهَـرَتْ فِيـهَا عُيُوبٌ كَثِيـــرَةٌ فَمَا عَدِمَـــــتْ وَجْدًا عَلَيْـكَ وَلا لَهْفَا
وَإِنْ كَفَـرَتْ آيَـاتُ جُـودِكَ ضَلَّـــةً فَمَـا طَلَبَـتْ إلا الصَّوَاعِــقَ وَالخَسْفَـا
وَقَدْ عَرَّسَـتْ فِيهَا الخُطُوبُ مُقِيمَـةً فَلا عَدِمَتْ مِنْ بَعْـدِكَ الجَوْرَ وَالعَسْفَـا

يروي المؤرّخون أنّ ابن ملهم خلال إقامته بحلب عدل في الرّعية ورخصت الأسعارفي أيّامه وبنى كثيراً من أبرجة سور مدينة حلب.[26] ولئن ظهرت فيها عيوب كثيرة فإنّ أهلها ما زالوا يشتاقون إليه ويتحسرون على فراقه.

* وأمّا الوثيقة التّاريخيّة الثّانية في الديوان فهي في مدح محمود بن نصر المرداسي. تكمن أهميتها في تصوير جانب مهم جدا من حياة أهل حلب. فقد أضرّت الحروب التي كانت بين أبناء صالح بن مرداس كثيرا بهم مثلما يؤكّده المؤرّخون، أضرّت بهم وخرّبت مدينتهم من بعد ما عزّ أهلها في عهد محمود الأوّل فقد ملك حلب قبل وقعة المسلمية التي فتحها محمود بن نصر (الممدوح) سنة 457هـ، ملكها قبل هذا التاريخ 454-455هـ.
والمؤرّخون يؤكّدون هذه الأحداث.

يقول(من الطويل):[27]

رَمَـوْا (حَلَبًا) – مِنْ بَعْدِ مَا عَزَّ أَهْلُهَا – عُهُـودَ أَكُـفٍّ مَا لَـهَا بِالنَّدَى عَهْدُ

ويقصد الشاعر بعهود أكف: أي وعدوهم بحياة أفضل وأخلفوا وعدهم.والمقصود هنا أبناء عمومة الممدوح.
وفي الديوان ما يثبت التّسلسل التّاريخيّ لحوادث مهمّة، سجّلتها كتب التّاريخ مضطربة أو غير متسلسلة تسلسلها الطبيعيّ. ذلك ما توضّحه القصيدة الثّانية في الديوان والمتعلقة بمدح ابن ملهم.يقول ابن سنان(كامل):[28]

وَعَلَى (خَلِيـجِ الرُّومِ) بَرْقُ صَفَائِـحٍ تَفْـرِي ذُيُولَ النَّقْعِ وَهْيَ صِفَـاقُ
فَتَنَـازَعَ الكُـفَّارُ فَضْلَـةَ كَأْسِـــــهَا مِـنْ بَعْدِ مَـا ثَمِلَـتْ بِهِ الفُسَّـاقُ
عَـادَتْ سِهَامُـهُمُ الحِدَادُ كَلِيـــــلَةً حَتَّـى كَـأَنَّ نِصَالَـــــهَا أَفْـوَاقُ
صَبَّحْتَـــــــهُمْ بِـ(اللاذِقِيَّةِ) فَالْتَقَـى بَحْـــــرَانِ: مَـاءٌ رَاكِـدٌ وَعِتَاقُ

يقصد بالفسّاق المعزّ بن باديس. والبيت الثاني دليل على أنّ وقعة اللاذقية كانت بعد وقعة القيروان. يكون البيت والقصيدة ككلّ بذلك وثيقة تاريخيّة جدّ مهمّة في هذا الضرب من التأريخ.

خاتمــة

نخلص في ختام هذا المقال إلى أننا حاولنا توضيح الجهود المضنية التي بذلها محققا الديوان مختار نويوات ونسيب نشاوي– رحمه الله– وبيّنا الصورة العلمية التي أخرجا بها ديوان ابن سنان الخفاجي بوصفه كنزا من كنوز تراث الأمة العربية في الشام بالذات وفي زمن محدود من تاريخها الطويل.

حاولت بهذا المقال أن أُخرج للقارئ الكريم تلك الجهود ممثّلة في جملة الاستدراكات اللغوية والبلاغية والتاريخية التي حوتها ثنايا هذا الديوان المحقّق. كما حاولت بهذا المقال أن أنوّه بالقيمة العلمية التي حوتها المقدمة التي وضعها المحقق مختار نويوات لهذا الديوان، وأن أدعو القارئ الكريم بصفة عامة والباحث بصفة خاصة إلى النظر بإمعان في هذا العمل.

الهوامش:

1- ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق مختار نويوات ونسيب نشاوي– رحمه الله–، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة احتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية(1429هـ/2007م)، مقدمة التّحقيق، ص 9.

2- خرج محقّقا الدّيوان إلى التّحقيق في صحّة نسبه، فتتبّع النّسب "بنو خفّاجة" وهم أحد عشر فرعا اضمحلّت عبر القرون. كما يذكر ابن الأثير (ت 630 هـ) ولم يبق منها (في زمن ابن الأثير) غير قبيلتين "حزن" و"كعب": ابن الأثير الجزري، اللّباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980، 363/1. (ما.الحزني). فصّل المحقّق في طفولة ابن سنان وشعره الذي كتبه في صباه وفصّل في حقيقة نسبه إلى الجدّ السّابع (سنان) و(الرّبيع) جدّه الخامس أو السّابع منهم على عادة العرب في التّوسّع.

3- ديوان ابن سنان الخفاجي(422–466هـ)، من مقدّمة التّحقيق، مختار نويوات، ص 12 وما بعدها.

ينظر: ابن الأثير الجزري (ت630هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980،(454/1)، وابن الأثير (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965–1967، (463/10)، والسّمعاني، الأنساب، تحقيق عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليمانيّ، نشر محمد أمين دمج، بيروت، 1980–1981. (ما.الخفاجي)، وابن شاكر الكتبي (ت764هـ)، فوات الوفيات تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، 1951، (489/1)، وياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955–

1957، (ما.حلب)، وابن شمائل (ت739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع ، طبعة بريل 1852–1854(ما.ياقد)، وابن شهراشوب، معالم العلماء تحقيق عباس إقبال، طهران، 1973، ص 69، ويوسف بن تغريبردي (ت874هـ)، النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1948،(96/5)، والباخرزي (ت467هـ)، دمية القصر وعصرة أهل العصر وهو ذيل ليتيمة الدهر للثّعالبي، حقّقه سامي العاني، بغداد، 1971،(169/1)، والزّركلي، الأعلام ، ط2، القاهرة، 1969، (266/4). وغيرها من المراجع.

4- بنو مرداس فرع من بطون كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قبائل هوازن من قيس عيلان.

(يُنظر: تاريخ بني مرداس ومراجعه العربيّة والأجنبيّة في دائرة المعارف الإسلاميّة الط. الجديدة 117/7 – 125 والمقال لـ "TH.Bianquis")، ومقدمة التّحقيق لمختار نويوات، ص 51.

5- ينظر مقدّمة التّحقيق بقلم مختار نويوات، ص 61 – 65، والقصّة توردها كتب التّراجم والسّير.

* وزير محمود بن نصر المرداسي أمير حلب. عيَّنه مكان أبي بشر النّصراني الذي قتله كما قتل الكثير من الأصحاب لما تنكر لهم بعد خروج ألب أرسلان السّلجوقيّ عن حلب.

6- الخشكنانتين: يقول المحقّقان أنّها وردت في النّصّ بالجيم مكان الخاء(ص 46 في الديوان). وعلّق: الخشكنانة : دقيق الحنطة إذا عجن وبسط وملئ بالسّكر واللّوز والفستق وماء الورد ثم عجن وخبز.

ملاحظة:

وردت قصائد الدّيوان بلا عناوين لكنّها مرقمة من 01 القصيدة الأولى إلى القصيدة رقم 146 الأخيرة.

* أنوّه القارئ الكريم بأنّ الديوان محقّق ضمن مشروع مجمع اللغة العربية بدمشق وأن الذي باشر التحقيق هو الأستاذ نسيب نشاوي– رحمه الله – الذي كان أستاذا بجامعة عنابة زميلا للأستاذ مختار نويوات. فعهد إلى زميله بمساعدته في المشروع (تحقيقا وشرحا وتعليقا) وسرعان ما وافته المنية وهو في بداية العمل..فننوه إذاً وللأمانة العلمية أنّ معظم العمل في التّحقيق والشرح كان للأستاذ مختار نويوات.

7- ديوان ابن سنان الخفاجي، القصيدة رقم 2، البيت 20، ص 115.

8- القصيدة رقم 16، البيت 18، ص 260.

9- ديوان مهيار الدّيلمي، 251/1.

10- ينظر: ديوان ابن سنان الخفاجي، هامش القصيدة رقم 47، ص 346، وابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، طبع بدمشق على ثلاث مراحل: 1951، 1954، 1968، (281/1)، وعن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري، ص 538–539.

11- ينظر: الدّيوان، القصيدة رقم80، ص424، وابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1367هـ، (270/5).

12- القصيدة رقم 85، البيت17، ص 460.

13- ديوان زهير بن أبي سلمى(ت13ق.هـ) بشرح ثعلب، نسخة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964/1384، ص 22.

14- ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة سمهر ودائرة المعارف الإسلامية، ط2، مادة Masaure. ومصوّع– وتدعى سمهر – جزيرة ومرفأ بإريتيريا: على البحر الأحمر من شمال الحبشة، وذلك ما يعضد قول الزبير بن بكار فيما يروي ياقوت وغيره.

15- القصيدة رقم46 من الديوان، البيت رقم8، ص 344.

16- بطون خفاجة، قوم الشاعر، الأحد عشر هم: معاوية ذو القرح، وكعب ذو النويرة، والأقرع، وكعب الأصغر، وعامر، ومالك، والهيثم، والوازع، وعمرو، وحزن، وخالد.

17- القصيدة رقم 120، الأبيات الثمانية الأولى، ص 540–542.

18- القصيدة رقم127 من الديوان، ابتداء من الصفحة 599.

19- القصيدة رقم82، الأبيات 15–26، ص 440–442.

20- مقدمة التحقيق، ص 55.

21- ابن بسام الأندلسي، الذخيرة، 1/4، 227–238.

22- الحوادث التي يشير إليها ابن سنان في القصيدة مفصّلة في كتب التّاريخ. ابن الأثير(9/566–70)، وابن عذارى المرّاكشيّ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، ج، س كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1982،(1/389–95).

23- ينظر: المقريزي، اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، ط القاهرة، 1971، ج2/226–231. وابن ميسّر، المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أحمد فؤاد السّيّد، القاهرة، 1981، ص 13–15، وياقوت الحمويّ، معجم البلدان، 348/4: مادة قسطون.

24- علي بن ملهم العقيلي: أبو علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي، مكين الدولة، كان أميرا على مدينة حلب سنة 450هـ للخليفة المستنصر الفاطمي بمصر.

25- الديوان، القصيدة رقم 11، الأبيات:31–32–33–34.

* الرّوج: سهل بالقرب من بلدة محمبل على طريق جسر الشغور– أريحا (سوريا).

** أفامية: مدين أثرية سورية تقع على مسافة 60 كم شمال حماة السورية.

26- ابن العديم، زبدة الحلب، (1/451).

27- الديوان، القصيدة رقم 122، البيت 12.

28- الديوان، القصيدة رقم 2، الأبيات37–38–39–40.